الصهيونيـــة

نشأتها وتطورها

٢ ـ بعد عهد بلفور

للاستاذ محمد عبد الله عنان

اصدرت الحكومة البريطانية عهدها بانشاء الوطن القومي اليهودي (عهد بلفور) في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ كما قدمنا ، بينما كانت القوات البريطانية بقيادة لورد اللنبي في طريقها الى بيت المقدس . وفي التاسع من ديسمبر استولى الانكليز على بيت المقدس : وبدأت سيادة انكلترا على فلسطين من ذلك التاريخ ، وبدأ تنفيذ مشروع الوطن القومي اليهودي بصورة عملية . وتلا عهد بلفور صدور تصريحات ووقائع رسمية من مختلف دول الحلفاء بتأييد اماني الصهيونية ومشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين (١)

وفي مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠ وزع « الانتداب » على بلاد الشرق الادنى التي سلخت عن تركيا . فكانت فلسطين وشرق الاردن والعراق من نصيب بريطانيا العظمى . وفي سبتمبر سنة ١٩٢٢ صادق مجلس عصبة الامم على صك الانتداب على فلسطين متضمنا في ديباجته المصادقة على عهد بلفور بانشاء الوطن القومي اليهودي ؛ ونص فيه على انشاء هيئة يهودية ذات صفة رسمية يحق لها أن تبدي الرأي لحكومة فلسطين وتتعاون معها في جميع الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها مما يتعلق بانشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح اليهود في فلسطين ، وتتخذ بالاتفاق مع الحكومة البريطانية جميع الاجراءات اللازمة لتحقيق التعاون بين جميع اليهود الذين يريدون الاشتراك في انشاء الوطن القومي اليهودي (المادة الرابعة) . ونص على تسهيل الهجرة اليهودية واستعمار اليهود للأراضي (المادة الخامسة) كما نص على جعل اللغة العبرية لغة رسمية في فلسطين الى جانب العربية والانكليزية (المادة الثانية والعشرون) واستثنيت منطقة شرق الاردن وجعلت منطقة خاصة لا يطبق عليها شيء من النصوص المتعلقة بالوطن القومي اليهودي .

وفي سنة ١٩٢٣ تنازلت تركيا في معاهدة لوزان عن كل حق على فلسطين وغيرها من الاراضي التي وضعت تحت الانتداب ، واعترفت بالانتداب البريطاني على فلسطين ، وتمت بذلك سلسلة الوثائق الدولية التي تؤيد السيادة البريطانية على فلسطين ، وتؤيد انشاء الوطن القومي اليهودي فيها .

* * *

ولنر الآن كيف عملت الصهيونية في فلسطين بعد ان مكنت من غزوها ؛ وكيف نفذ مشروع الوطن القومي اليهودي ؛ والى اين وصل والام ينتهي اليوم ؟

كان برنامج مؤتمر بازل الذي انينا على ذكره دستور الصهيونية عملت على تنفيذه في فلسطين عن طريقين : الاول الاستعمار الزراعي والاقتصادي ، والثاني احياء تراث اليهودية الروحي والفكري . والأول سلاح اليهودية المادي لغزو فلسطين والاستقرار بها . وقد بدأت باعداده واستعماله منذ بعيد . فمنذ أواخر القرن الماضي انشئت في فلسطين بعض المحلات والمستعمرات الزراعية اليهودية بسعي بعض الماليين اليهود ... ومنذ سنة ١٩٠١ انشيء « الاعتماد القومي اليهودي » في لندن ليجمع الاموال من اليهود في جميع انحاء العالم . ومنذ عهد بلفور يسير الاستعمار اليهودي لفلسطين بخطوات سريعة . وتعتمد الصهيونية في ذلك على هيئتين ماليتين قوميتين الاولى « الاعتماد القومي اليهودي » المذكورة ، ومهمتها شراء الأراضي الزراعية في فلسطين . والثانية « الكرن هيسود » ومهمتها أن تقدم الأموال اللازمة للمهاجرين لتسهيل الاستعمار والاستقرار والتربية وما يتعلق بها . وتطبيقا لعهد بلفور وصك الانتداب فتح الانكليز ابواب فلسطين على مصاريعها للهجرة اليهودية ، فوفد عليها اليهود آلافا مؤلفة من جميع انحاء العالم ، واشترى اليهود مساحات شاسعة من الأراضي في جميع انحاء فلسطين ، واقيمت عليها المستعمرات اليهودية الزراعية والصناعية . وقامت « اللجنة التنفيذية الصهيونية » في بيت المقدس لتنظم الاستعمار اليهودي بمعاونة حكومة فلسطين تطبيقا للمادة الرابعة من صك الانتداب ، واستأثرت لدى الحكومة بكل نفوذ ، واستولى اليهود على معظم المناصب الهامة ؛ وعلى الجملة استطاع اليهود في اعوام قليلة ان يستأثروا بأعظم قسط من مرافق فلسطين الجوهرية اقتصادية وغيرها

---

(١) صدرت هذه التصريحات الرسمية في صور خطابات وجهت الى السير سوكولوف مندوب الهيئات الصهيونية من (الحكومة الفرنسية في ١٤ فبراير سنة ١٩١٨ ومن الحكومة الايطالية في ٩ مايو ، ومن الحكومة السويسرية في ١٩ اكتوبر . واصدرت اليابان بلاغا رسميا بنفس هذا المعنى على يد سفيرها في لندن . واعلنت امريكا تاييدها لعهد بلفور في يونيه سنة ١٩٢٢ ورومانيا في يناير سنة ١٩٢٥ وبولونيا في يوليه سنة ١٩٢٥ . ولم نورد نصوص هذه الوثائق لاتفاقها جميعا تقريبا في الصيغة والمعنى

هذا ، وقد بذلت الصهيونية جهودا عظيمة لاحياء تراث اليهودية الفكرى والروحى . فأنشئت فى ظاهر بيت المقدس منذ سنة ١٩٢٥ جامعة عبرية كبيرة تعمل على احياء هذا التراث ؛ وانشئت مكتبة يهودية عظيمة ، كما انشئت طائفة كبيرة من المدارس اليهودية فى جميع انحاء فلسطين ، جعل التعليم بها باللغة العبرية ؛ واتخذت العبرية الى جانب العربية والانكليزية لغة رسمية للتخاطب والمعاملات ، وانشئت عدة صحف يهودية عبرية ، وبذلت على العموم مجهودات عظيمة لأحياء الثقافة والتقاليد اليهودية

وهكذا سارت الصهيونية فى انشاء الوطن القومى اليهودى بفلسطين بخطوات سريعة تسدد كل خطوة منها الملايين الطائلة ، والسياسة الانكليزية من ورائها تؤيد جهودها وتحمى مرافقها ومشروعاتها .

وقد بلغ الاحتشاد اليهودى فى فلسطين مبلغا عظيما ؛ فقبل عهد بلفور لم يكن عدد اليهود بفلسطين يزيد على بضعة آلاف معظمهم من اليهود المحليين ، ولكن عددهم حسب إحصاء سنة ١٩٢٢ بلغ ٨٧,٧٩٤ من مجموع قدره ٧٥٧ الفا ؛ وبلغ حسب إحصاء سنة ١٩٢٩ — ١٤٩,٥٥٤ من مجموع قدره ٧٩٤,٩٠٦ آلاف — ويبلغ اليوم حوالى مائتى الف من مجموع قدره مليون نفس . واعظم احتشاد يهودى فى (مدينة) تل أبيب وهى مدينة يهودية محضة أنشئت على الطراز الاوربى ، ويبلغ سكانها اليوم زهاء ستين الفا . والهجرة اليهودية مازالت تتدفق على فلسطين بنسبة مزعجة ولا سيما عقب حوادث ألمانيا الأخيرة ، حيث اضطرت خصومة السامية من جديد ولقى اليهود نوبة اضطهاد جديدة شاملة .

وقد يلوح مما تقدم أن الصهيونية قد أحرزت نجاحا لا شك فيه ، وأن الوطن القومى اليهودى يقوم اليوم فى فلسطين على أسس ثابتة ، وأن حلم هرتل فى قيام دولة يهودية موحدة يسير نحو التحقيق . ذلك أن الصهيونية قد استطاعت من الوجهة الدولية أن تحصل على العهود والمواثيق اللازمة للاعتراف بالوطن القومى اليهودى كوحدة سياسية ذات وجود ، وعلى الضمانات الكفيلة بتأييده وحمايته ، واستطاعت من الوجهة المادية أن تقوم فى فلسطين بطائفة كبيرة من الجهود المادية والانشائية لاقامة هذا الوطن القومى طبق ما فصلنا . ولكن الحقيقة التى لا ريب فيها هى أن الحركة الصهيونية تقوم من الوجهة التاريخية والدولية على أسس وبواعث فاسدة مضطربة ، وجهودها فى سبيل انشاء الوطن القومى اليهودى تسيرها فى الواقع عوامل مصطنعة . ثم هى بعد هذه الجهود كلها لا تستطيع أن تطمئن لمصيرها فى فلسطين ، ولا تستطيع أن تغفل ارادة العرب بعد أن تجلت هذه الارادة أكثر من مرة قوية متقدمة بتحطيم هذا الصرح اليهودى المصطنع . ذلك أن الصهيونية الحديثة لم تكن مستقلة النشأة ، وانما كانت بالاخص نتيجة لخصومة السامية أو حركات الاضطهاد ضد اليهود فى أوربا ، وكانت وما زالت تتبع هذه الخصومة قوة وضعفاً ، فاذا اضطرمت خصومة السامية ، اضطرمت الصهيونية بفورة مؤقتة من الحماسة ، واذا خبت فتر روح الصهيونية المعنوى . وفكرة الوطن القومى اليهودى تقوم من الوجهة التاريخية على أن أرض فلسطين كانت قبل ألفى عام وطن الشعب اليهودى ومهاد مجده ، وانها مازالت برغم كر الاحقاب مثوى تراثه الروحى وذكرياته المقدسة . وهى فكرة ظاهرة الخطل والاغراق ؛ ففلسطين عربية إسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، ولم تعرف خلال هذه الآماد الطويلة من أثر اليهودية سوى ذكرى التاريخ ؛ ولو كانت ذكرى التاريخ تصح سندا لاستعادة الأوطان الغابرة لما كان لشعب أن يبقى اليوم فى الأرض التى يحتلها . واليهودية لا وطن لها منذ ألفى عام ؛ وقد استقرت منذ الحقب اشتاتا فى سائر أنحاء الأرض ، وفقدت لغتها وكثيرا من خواصها ومميزاتها القومية ؛ ولم تبق اليهودية جنسا موحدا ، وانما هى دين فقط . وقد كان مزجها بين فكرة الدين والجنس من أهم عوامل اضطهادها ، لانها برغم نزولها فى مختلف الأوطان وتأثرها بمؤثرات الأقليم والوسط ، تأبى الا أن تعيش دائما فى معزل ، وتتكر دائما جنسيتها المكتسبة بتعاقب القرون ، وتتخذ دائما من الدين جنسية مستقلة . وقد كان هذا الفهم الخاطىء لنظرية الجنسية موضع الانكار والنقد من بعض مفكرى اليهودية الممتازين مثل مندلزون ولسنج ، فقدروا أن تتخذ اليهودية أوطانها القومية حيثما حلت مع احتفاظها بتراثها الروحى .

هذا ، ومن جهة أخرى فان الصهيونية لم تحسب حساب العرب ؛ وقد رأت بالأدلة المادية أن التأييد المسلح الذى أخذته بريطانيا على نفسها لا يكفى لسلامة الوطن القومى اليهودى ، وان أرادة العرب أصحاب البلاد يجب أن يحسب لها أكبر حساب . وقد ظهرت هذه الارادة قوية مضطرمة فى حوادث اغسطس سنة ١٩٢٩ ؛ ثم ظهرت فى حوادث فلسطين الأخيرة التى جاءت أقطع حجة على أن فلسطين العربية مازالت تعيش بقوى معنوية لا تقدر . وهذه الانفجارات القومية القوية التى تضطرم بها فلسطين من وقت لآخر هى وثبات شعب يريد الذود عن حياته وكيانه . فقد رأينا كيف نزعت أراضى

العرب من أيديهم ، وكيف سلبوا كل مرافقهم ومصالحهم الجوهرية ، وكيف فتحت بلادهم لتلقى سيل الهجرة اليهودية تنفيذا لعهد بلفور وصك الانتداب . وقد اقرت لجنة التحقيق البريطانية التي انتدبت على اثر حوادث سنة ١٩٢٩ عدالة كثير من المظالم التي نزلت بالعرب ، ولا سيما مسألة الأراضي ومسألة الهجرة اليهودية . ولكن السياسة البريطانية لم تغير شيئا من مسلكها ؛ وما زالت تؤيد غزو الصهيونية لفلسطين بكل قواها . وقد وصل اقتناء اليهود لاراضي العرب في العهد الأخير ووصلت الهجرة اليهودية الى حدود خطرة ، وشعر العرب بالضغط عليهم وعلى مرافقهم يشتد الى الغاية ؛ فكان الانفجار الأخير ؛ وكان ان اثبتت فلسطين مرة أخرى أنها ستقاوم هذا الغزو البربري المنظم بكل ما وسعت من قوة : وشعرت اليهودية مرة أخرى أن الوطن القومي اليهودي انما هو لعبة خطرة لاتزال تنقصها كل عناصر السلامة والطمأنينة ؛ وكان لحوادث فلسطين الأخيرة وقع عميق في العالم العربي والاسلامي كله : فعرفت اليهودية مرة أخرى ان فلسطين لا تقف وحيدة في ميدان النضال ؛ وان من ورائها الأمم العربية والاسلامية كلها تشد أزرها بجميع قواها المعنوية ؛ وعرفت اليهودية مرة أخرى أن الوطن القومي اليهودي لا يقوم في قلب فلسطين فقط ، وانما يقوم في قلب العالم العربي والاسلامي كله على بركان من الخصومة المشتركة ، وان عليها اذا أرادت البقاء في فلسطين أن تأهب لمنازلة العالم العربي والاسلامي كله . ؟

الكروان

ألا أيها الكروان صحّت لك الرُّبى
وطابت مجانيها ففيمَ تَصيحُ
أراكَ كأن الوَجْدَ أشجاكَ والأسى
رماكَ فتَغْدو والهاً وتروح
كأنك والأشجارُ أعوادُ مِنبرٍ
خطيبٌ لأرباب الهوَى ونَصيحُ
ألا غنِّني وانشدْ فؤاداً أضلَّهُ
عُيونُ المها عَلَّ الفؤاد يلوحُ
وآسِ بما توحيه قلبي فربَّما
تَقَرَّحَ قلبُ المرءِ وهو صحيحُ

محمد محمود الرافعي

الشافعي واضع علم اصول الفقه

للاستاذ مصطفى عبد الرازق (١)

استاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

الشافعي هو أحد الأئمة الأربعة الفقهاء : أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ - ٧٦٧ م ، وأبي عبد الله مالك ابن انس الاصبحي المدني المتوفى سنة ١٧٩ هـ - ٧٩٥ م ، وأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المكي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ - ٨٢٠ م ، وأبي عبد الله أحمد بن حنبل البغدادي المتوفى سنة ٢٤١ - ٨٥٥ م .

وهؤلاء الأئمة هم الذين استقرت مذاهبهم في الفقه الاسلامي بين جمهور المسلمين منذ نحو ألف عام .

وتلاشى ماعداها من المذاهب كمذهب « الحسن البصري » المتوفى سنة « ١١٠ هـ — ٧٢٧ م » ومذهب « سفيان الثوري » المتوفى سنة « ١٦١ هـ — ٧٧٧ م » ومذهب « عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي » المتوفى سنة « ٢٠٠ هـ — ٨٥٤ م » ومذهب « محمد بن جرير الطبري » المتوفى سنة « ٣١٠ هـ — ٩٢٢ م »

وطالت مدة المذهب الظاهري الذي أسسه « داود بن علي الأصفهاني » المتوفى سنة « ٢٧٠ هـ — ٨٨٣ م » وزاحم المذاهب الأربعة ودرس بعد القرن الثامن

والتنافس بين المذاهب الاربعة على الغلبة والانتشار والسلطان قديم يرجع الى عهودها الأولى ، ولعل بعض آثاره لاتزال باقية إلى اليوم

ولئن كان هذا التنافس قد أدى في بعض الأحايين الى أثارة أحقاد وفتن بين العامة فانه في أكثر أمره كان سبب حياة عقلية ونشاط فكري وتسابق الى الأتقان والكمال في البحث العلمي

فان أهل كل مذهب كانوا لايفتأون يتفننون في جعل مذهبهم ميسراً لأفهام الناس وأذواقهم ، متسعا لما يتجدد من حاجاتهم ، متميزا بلطف الاستنباط وحسن التخريج ، وكثرة الجمع للمسائل الموجودة التأليف حتى أصبحت علوم الأحكام الشرعية أكمل مظهر للنبوغ العقلي العظيم في الاسلام بوفرة أبحاثها ومؤلفاتها التي لا يحصى

(١) نص محاضرة القاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية